هو موقع نظر الطبقة المسيطرة ، حتى لا ينفذ النظر في هذا الواقع الى ما وراء المباشر من مرئياته ، اي الى بنيته الخفية التي لا يقبض عليها ، معرفيا ، سوى الفكر النظري ·وبنيته هذه هي التي تحمله الى الحركة ،او قل تحمله في سيرورة حركته التاريخية · بتغييب هذه البنية والية سيرورتها الداخلية ، يتسطح الواقع ويستوي على صعيد المرئي المباشر ، حقل البداهات الايديولوجية · لهذا كان منطق البداهات معاديا للنظرية ، يرفضها ويرفض طبعها الفضولي ، ويجابهها بمنطق « الحياة » وواقعها ، كأن بين الاثنتين تعارضا او تصادما ، تنتفي فيه الواحدة بالاخرى نفيا مطلقا ، بحيث لا بد ان تكون الغلبة فيه لاحدى الاثنتين على الاخرى · وهو يختار « الحياة » ، في واقعها الغني المتنوع ، ضد النظرية التي لها عنده صفة الموت والجفاف ، او النشف ·

هذا الاختيار هو ، في الحقيقة ، اختيار طبقي ضد المعرفة وضد العلم ، بما هو علم بالواقع الفعلي · والواقع الفعلي المادي هذا شيء ، اما الواقع المعرفي ـ واقع الفكر ـ فشيء اخر ، ولا يجوز الخلط بينهما ، بحيث نرفض هذا الاخر ، باسم غنى الاول وتنوعه ، فنرفض ، برفضه ، المعرفة او العلم ، فيمبدئهما ، ونقف منهما موقفا ضديا ، او بالاحرى ، ظلاميا هو بعينه موقف الايديولوجية البرجوازية ·

ليس لنا ان ندخل الان في تحليل هذه القضية النظرية ، من حيث هي قضية معرفية · لكن الذي نريد التنبيه اليه في هذا المجال هو ان البعض من الذين يحاولون نقد الايديولوجية البرجوازية اللبنانية ـ لا سيما في ما له علاقة بمشكلة « الطائفية » ـ ينزلق ، من حيث لا يدري ، او يدري ، الى ارض هذه الايديولوجية ، ويقع في ذلك التعارض الذي يصطنع بين النظرية و « الواقع الحي » اللبناني ، فيدير الظهر للنظرية وطابعها الكوني ليستخلص من هذا « الواقع الحي » « نظريته » · وهو ، اذ يقوم بذلك ، لا يعرف ، او قد يعرف ، ان « النظرية » الخاصة بهذا الواقع اللبناني ، وحده دون غيره ، لا يستخلصها من هذا الواقع بقدر ما هو يستخلصها من ايديولوجية البرجوازية اللبنانية نفسها التي تقوم ، في ركن اساسي من اركانها ، على مبدأ رفض النشاط النظري ، من حيث ان النشاط هذا هو ، في الفكر العلمي ، تمييز لكونية قوانين الحركة التاريخية للواقع الاجتماعي ، في سيرورة انتقاله الى الاشتراكية ·

ليس اخطر ما في منهج الفكر الشيحاوي ـ كما يبدو في النص الاول ـ رفضه النظرية ودورها في انتاج المعرفة · ولا جديد في هذا الرفض الذي هو ملازم للتجريبية ، كما نجدها ، مثلا عند جون ستيوارت ميل او دافيد هيوم · ولئن انبنت التجريبية هذه ، في صعودها ، التاريخي ، عند هذين الفيلسوفين ، في حقل العلوم الطبيعية بوجه خاص ، وفي حقل فكري تاريخي معين يتميز